

حزيرين الملك فاروق

مؤلف: الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني

عرفت فضل النظام الملكي ومزيتته في ليلة صيفية كان هذا الموضوع آخر ما أتوقع فيها أن يجري لي في خاطر . وكنا نحو عشرين - مابين كبار وصغار ، ورجال ونساء ، وشيب وأطفال - خرجنا في أربع سيارات إلى الصحراء - صحراء مصر الجديدة - ومعنا الطعام والشراب والسجاجيد والوسائد والأواني والأوعية وسائر ما يحتاج إليه مثلنا في مثل هذه الرحلة ، إلا الأكواب فقد نسيناها على فرط حرصنا على تذكرها ، فاضطر أحدنا أن يعود بالسيارة إلى حيث مساكن الأحياء ليشتري لنا دفابقتنا من هذا الذي نسيناه . وفرشنا السجاجيد وأخرجنا الوسائد والحشايا وصفغنا الأطباق ووزعنا القوط والأشراك والملاعق والسكاكين - فقد أبي أكثرنا إلا أن يكونوا من أبناء المدينة وإن كان أصل الفكرة أن نجعلها ليلة « بوهيمية » وأن نطلق النفس على السجبة وننقى التكلف - وشرعنا نأكل ونسمر ونضحك ونلعب وتتخاطف الطعام والشراب ويجري بعضنا وراء بعض . وكنت جالساً على حافة السجادة وساقاي ممدودتان أمامي - كأنما يمكن أن أمدّها ورأى ! - وظهرى إلى مؤخرة إحدى السيارات فإن إحدى ساقى مهيضة فليس في وسعي أن أجلس كما يجلس خلق الله . فأقبلت على إحدى الفتيات وأراحت كفها على كتفي وقالت : « ولكن كيف نسينا الأكواب ؟ »

فهزرت كتفي التي عليها راحتها - فقد كان الجو حاراً - وقلت : « وهل أنا أعرف ؟ »

فأبت إلا الالتحاح وقالت : « ولكنك كتبت كل شيء في ورقة وراجعت كل شيء على ما فيها ؟ »

فقلت بإيجاز : « صحيح »

فقلت : « إذن كيف حدث هذا ؟ .. لا بد أنك تعمدت .. » ولم تتمها فقد صاحت إحدى الفتيات في هذه اللحظة :

« الملك فاروق ! »

وإذا بالقاعدين والمضطجعين جميعاً يثبون إلى أقدامهم كأنما شكبهم جميعاً حديد محمي ، ولولا ساقى وصعوبة هذه الحركة المبالغتة عليها ، لكنت وثبت كما وثبوا ، فإن للجماعة عدواها ، وصارت كل يد على أقرب كتف ، وجملت العيون تدور في كل ناحية ، والألسنة تجري بالسؤال الطبيعي : « فين ؟ » . وكانت الفتاة التي أطلقت هذه الصيحة تشير إلى سيارة تخطف بعيداً عنا ، ولا يكاد يبدو منها شيء . لكثرة الغبار النائر وراءها . وسكنت الضجة أخيراً فقالت إحدى الفتيات : « هل سمعتم أغنية الملك فاروق ؟ » فقلنا جميعاً - أعنى الرجال - : « لا » - بلسان واحد . فقالت : « أغنية جميلة » قلنا : « هات أسمينا » فهزت كتفها ، وأولتنا ظهرها ، وأخفت وجهها في حجر زميلة لها . فسأل أحدنا : « هل فيها شيء يدعو إلى الحياء ؟ » فقالت بنته : « لا . إنما خجلها من أن تقنى » قلنا : « إذن أسمعنونا يا ناس »

فأبين أن نسمعن شيئاً ، وتركنا متلهفين على السماع الذي حرمتاه . ولم أطق أنا صبراً فعمدت إلى الحيلة ، وغيرت الموضوع ثم ملت على جارتى وسألتهما - فيما بيننا - : « هل تعرفين هذه الأغنية ؟ » فهزت رأسها أن نعم ، فسألتهما : « ماذا فيها ؟ » قالت : « لا شيء في الحقيقة وهي شائعة جداً »

قلت : « اهمسى بها في أذني » ففعلت وإذا بالأغنية كما يأتي :

« مصر فرحانه بفاروقها مصر فرحانه بمجيبها
كل بنت تستنى لوجالته يكون خطيبها »

فهممت لماذا خجلت الفتيات أن يفتنهن وإن كان لفظها لا يراد به المعنى الخرف ولا يدل على أكثر من الحب العام الذي فاز به هذا الملك الشاب السعيد الحظ . وخطرت لي وأنا جالس أفكر في هذه الأغنية الشائعة أن ملكاً مثله يسه أن يشق بحب الشعب له وأن يطمئن إلى دوام هذا الحب ، فإن المرأة تصنع بنا معاصر الرجال الغرورين ما تشاء

وقلت لنفسى وأنا أرى بعيني هذه الصحراء المهولة التي بعضها القمر : إنه ليس في وسع رئيس جمهورية أن يفوز بمثل هذا الحب . ولا يعقل أن يكون رئيس جمهورية شاباً في مثل سن الملك فاروق ، وعلى أنه ماذا صنع الجمهوريون حين ألغوا الملكية واعتاضوا منها الجمهورية ؟ لم يصنعوا شيئاً سوى أنهم قلدوا الملكية ، واحتفظوا بكل مظاهرها ، وحرعوا الشعوب إمكان الحب لرؤساء دولهم ،

وأتخاذ هؤلاء الرؤساء رموزاً لأوطانهم وأعلاماً عليها ، وعناوين لها ، وأنقدوها معنى قومياً تتعلق الشعوب به . والجمهوريون يشعرون بذلك ويفطنون إلى الزيف الذي تكلفوه ، ولذلك يحفون رئيس الجمهورية بكل ما كان يحف بالملك من المظاهر والمراسم . فله قصره ، وحرسه ، وحاشيته ، وإنعاماته — كائنة ما كانت — وله مقام كقمام الملك ، واحترام كاحترامه ، وتقاليد ملكية مقرررة لا تختلف ولا يمكن التساهل في أمرها . وكل ما ذهب هو نظام الوراثة . هذا والملكية نشوؤها طبيعي في الأمم ، فقد كان الملك في العصور الأولى هو الأقوى أو الأقدر على العموم وبقدرة أو قوته المتنازعة استحق التسويد . أما الجمهورية فنظام قائم على التكلف والمغالطة . والزعيم فيه هو أن الأمر والرأي للأمة ، ولا أمر ولا رأي للأمة في الحقيقة ، وإنما الأمر والرأي لنفر ممن في أيديهم مقاليد الأمور ، وأعنة الشئون . وما دامت الشورى هي نظام السولة ، والدستور هو الذي يجري على قاعدته الحكم ، والملك لا يحكم إلا بواسطة وزرائه ، فلماذا تكلف الأمم عناء التبديل والتغيير والمغالطة لنفسها وتجيء برئيس جمهورية لا يختلف عن الملك في شيء ، ثم تزعم أنها جاءت بمجديد ؟ كل ما تصنعه الأمم التي اعتاضت الجمهورية من الملكية هو أنها أفسحت المجال لأطباع وراء الأطلاع العادية في مناصب الحكم أي في المناصب الوزارية . وقد يكون من عجائب الانسان أنه لا يقنع بمنصب الوزارة — وهو منصب حكم فعلي لا وهمي — وأن يروح بطمع في منصب لا يكون لصاحبه وهو فيه من الأمر قليل أو كثير . وكل ما يفيد هو الأبهة التي ليس وراءها حقيقة . ومن مغالطات الانسان لنفسه أن يدعى كره الملكية وأن يتخذ مع ذلك كل مظاهرها ما خلا الاسم ، وبروح على الرغم من هذا يقنع نفسه أنه غير شيئاً حين أبدل الملك برئيس جمهورية . وقد تكون الجمهورية أو ما إليها معقولة في بلد حديث العهد بالوجود مثل الولايات المتحدة ؟ أما في الأمم القديمة التي نشأت فيها الملكية وتدرت زمناً فإن التغيير لا يكون إلا مغالطة ولا يكون الباعث عليه إلا الأطباع الشخصية أو جنون الحركات الثورية التي يفقد فيها العقل أثره واستقامة نظره ، وهذوه

ولم أسترسل في هذه الخواطر التي لا أدري لماذا دارت في نفسي ، فعدت إلى رفاقي أسألهم عن الملك كارقوق وأحاول أن أعرف سر هذا الحب كله . فقالت فتاة صغيرة بساذجة محبة : إنه شاب حلو . فقلت لنفسي : إن هذا معقول فإن الأمم تحتاج إلى الشباب لتجديد نفسها . وبجرد وجود ملك شاب على رأس أمته يشعرها بفيض جديد من الحياة والشباب على الخصوص ، وينمش في نفوسها الأمل . ولعل فتاتنا الساذجة لا تدرك ذلك كله ، ولكنها صدقت من حيث لا تدري . وقال رجل : إنه شديد التمسك ببادات قومه ودينهم . فقلت لنفسي : وهذا أيضاً صحيح وهو من مزايا الملكية ، والشعوب تحب أن ترى في ملكها رمزاً لكل ما تحرص عليه وتضن به ، من دينها وعاداتها وتقاليدها وآمالها ، ولا يتأتى هذا كما يتأتى في الملكية . وقال ثالث : إنه متواضع رقيق الحاشية والقلب . فحدثت نفسي أن هذا أيضاً صحيح ، ومعقول أن يكون باعث حب ، فما من أمة تحب العجرفة والشموخ والنظرسة والجبروت في حكامها ، حتى ولو خضعت لهم مكرهة ، وهي تؤثر الحذب والرعاية والعطف والعدل ، وهذا كله حقها . وقال آخر : إن الأمل فيه عظيم ، وإن البشري به حسنة ، وإن فاتحة عهده آذنتنا بالنمير . ولا يكون مثل هذا الأمل الكبير في رجل عرفت حياته وزعامته وأتجاهاته ، وأصبح ما يمكن أن يكون منه مما يسهل أن يعرف بالقياس على ما كان فعلاً في ماضيه المعروف . وعظم هذا الأمل دليل على عظم الرغبة في الانتقال إلى ما هو خير . ودلالات هذا الأمل كثيرة وليس هنا مقام القول فيها . وقد كثرت في جلستنا الأسباب التي يعزى إليها حب الشعب للملك الشاب ، وكلها صحيحة ولكن لا أذكر الآن أن واحداً منا أشار إلى جاذبيته الخاصة ، وقد يكون مرجعها إلى الشباب ، ولكنني أحسبها هبة من الله ، فما أكره الشبان وما أنقل الكثيرين منهم ! وعدنا وما كان لنا حديث إلا الملك كارقوق وجهه لأتمته وحب الأمة له . وما أظن أن حديثاً آخر كان خليقاً أن يكون أشهى وأمتع . ومتى كان الحديث عن الملك في المجالس أشهى الأحاديث وألذها فإن للملك أن يبشر وللأمة أن تستبشر